الزجاج العاكس (٣-٤)

اذا نظرنا الى قضية «الستر» من المنطلق الانساني فانه سيطفو على السطح بعض من الممارسات الايجابية والسلبية التي تشكل ملامح هذه الدنيا يصبح «الستر» اهمية عندما ينكشف حدث كان في حيز اللامعروف ولمواجهة هذا الكشف يتواجد خياران: الستر او الفضح والاعلان.

لنأخذ مثالا شخصا مارس معصية دينية تضر به في المقام الاول والاخير، واكتشف احد من افراد المجتمع ممارسته لهذه الخطيئة لحظتها يوجد امامه: اختيار اعلانه عن هذا الاكتشاف او ستره في نفسه بعيدا عن اعين وآذان الآخرين قبل اختيار اي من القرارين لنلقي الضوء على الجوانب الاحتمالية الايجابية والسلبية التي قد تترتب عليهما.

اذا أخذنا بداية قرار الكشف والفضح يمكن لهذا المكتشف العظيم ان يذهب الى صاحبنا العاصي ويعلمه انه قد عرف بفضيحته وانها كانت صدمة عنيفة ما توقع يوما حدوثها ويمتلك ايضا خيار نشر هذا الخبر بين المهتمين من اقرانه واسرته، حتى يشاركوا التلذذ بثمار هذه المعرفة، وقد يمارس الخيارين معا فيذهب اولا الى صاحب المعصية ويخبره باكتشافه العظيم ثم يتوجه بعدها الى الناس ويعلمهم بخبايا الامور.

ان النتيجة هي ما يهم من ممارسة اي فعل. فلنقيم ما ينتج لنا من تقرير هذه الخيارات اذا ذهب احدنا الى صاحب معصية واعلمناه بمعرفتنا لسره قد تخرج منه عدة ردود فعل مختلفة، قد يغضب ويهيننا ويقول ان هذه قضية خاصة لا دخل لنا فيه وانه حر ويمارس حريته وليس لاحد ان يحاسبه او يقاضيه وهنا، يكون هذا الانسان في الواقع لا مبال من اقترافه لهذه المعصية ولا يخشى اكتشاف الآخرين لها. وقد يخاف ويؤجل، ويعد هذا الانسان بعدم تكراره للفضحية شرط عدم اعلانه عنها او يكذب ويدحض كل التهم الموجهة اليه ومن ثم ولخوفه يتوقف عن ممارسة فعله.

في الحالتين، حتى وان توقف حقا عن ممارسة المعصية فانها ليست خالصة لوجه الله بل هي بسبب دوافع دنيويه بحته، وبالتالي نحن لم نقم باي دور ايجابي في انقاذ هذا الانسان لانه ببساطه يمكنه ان يمارس ما كان يمارسه بأساليب سرية اقوى، او لحظة وجوده خارج المجتمع المحيط به والمتعارف عليه. قد يعاند ويزيد من غفلته ويحركه الغضب صوب دروب الخطيئة انه هكذا ينتقم من قيود المجتمع او الدين - مع انه في الحقيقة لا يؤذي سوى نفسه - وقد يفقد ثقته في نفسه واحترامه لذاته ويشعر انه حقير دنيء لا يستحق نعمة الحياة، وينكفئ على نفسه منفر لا عن تلك العينين التي اكتشفتا حقيقته الضعيفة وهاربا من المجتمع الذي فقد احترامها له.

اما ان ذهبنا الى الناس لاعلان خطايا هذا الانسان عليهم، فاننا بذلك نكون قد قضينا على اي فرصة ربما كانت موجودة لتوبته ولتطهير نفسه من ذنوبها فبعد ان انفضح واصبح منبوذا لن يجد عيبا في استمراره فيما هو فيه، بل يجد ملاذا في معصيته يهرب اليها بعيدا عن اسواط التذليل المتهاوية عليه من افراد المجتمع فبدلا من ان يجد الحماية والاحتواء يلاحقه الموت والهوان في كل خطواته.

اما اذا اختار الانسان ستر معصية اخيه الانسان فانه بذلك قد يمنحه فرصة حقيقية للتراجع والتوبة فهو مازال يمتلك احترامه امام الاعين المحيطة به وهذا سيسهل عليه التوقف عن اقتراف المعصية ما دامت في طي المجهول. خوفه من الفضحية تتضخم بمرور الزمان الى ان لا يجد مفرا من التوقف قبل حدوث ما يخشاه. يمتلك فرصة عادلة منحت له من السماء كي يعود الى خالقه والاهم من هذا او ذاك اننا اذا سترنا على الخلق ستر الله علينا. والانسان غير معصوم من الخطأ وما احوجه الى ستر الله له وعفوه وغفرانه.

اذا اقترف العبد ذنبا من الذنوب فان الخالق عارف بهذا الذنب قبل لحظة اقترافه مطلع على نية صاحبه عالم بالنتائج المترتبة عليه ومع هذا «فالستر» من صفات الله تعالى، فيستر على عبده الخاطئ ويحميه كي يمتلك فرصة للتوبة والاستغفار والرجوع عن معصيته.

من جهة اخرى قد يكون هذا العبد زوجا لاسرة تشهد له بالاخلاق الطيبة ولتقيدها في الحدود الانسانية الضيقة تعجز عن معرفة الجوانب المظلمة في هذه الانسان، فتبقى على عماها وجهلها.

اذن هناك امران يواجههما الانسان العاصي عند اقترافه للخطيئة الاله المطلع والعارف بادق جزئيات خطيئته من قبل وجودها الفيزيائي، والقطب البشري العاجز عن اكتشاف خبايا الحقائق والغارق في عالم مليء بالحواجز تبرز المشكلة الكلية على السطح عندما لا يتناسى العبد الخاطئ وجود الرقابة الالهية ويشكل حياته على اساس عجز القطب البشري فيصل الى أعلى درجات الكمال في تطوير الاساليب الملتوية والمهارة في تزييف بشاعته الى جمال سرابي حتى لا تنجح عين في التعرف على ذرة جزئية بسيطة من خطاياه.

هذا النسيان وهذه الغفلة تقودان الانسان الى هلاكه فمن جهة يخسر هو فرصته في التوبة والاستغفار ويتعامل من جهة اخرى مع الستر الالهي على انها جهل الهي «استغفر الله» مما سيعاقب عليه اشد العقاب، في حين ان مواجهته للقطب البشري وتحقيق النجاح الساحق امام عجزها لن تنفعه في شيء ابدا وما كانت يوما تعتبر مقياسا لموازنة كمالية القدرات.

هدى حشمت الله ثابت
نزوى

ماذا بعد.. «بسمة»؟

«بسمة» وردة صغيرة جميلة في الثامنة من عمرها، تقيم في مسكن اجتماعي عادت لتوها برفقة اخوتها ووالديها من السوق بعد ان اتمت الاسرة مشوار التسوق للعيد عادوا فرحين بأحذيتهم وملابسهم الجديدة، ما ان دخلوا البيت حتى استأذنت «بسمة» واخوتها والدتهم للدخول الى الغرف وتجربة ما اتوا به من ملابس واحذية، والام فرحة لرؤية فلذات كبدها بهذا الحماس تدعو لهم بالخير وطول العمر، خرج الجميع بعد فترة قصيرة سوى «بسمة» التي تأخرت قليلا، بعد ان قامت بتجربة جميع فساتينها الجديدة واختارت الاجمل فيها وحينما خرجت اضاءت بنورها البيت كله، وعم فيه جو من الحماس والسعادة والجمال اخذ الاخوة يتحدثون ويتبادلون التعليقات البريئة الساخرة والام تحاول اقناعهم للرجوع الى الغرف واستبدال ملابسهم الجديدة، خشية تأثرها قبل العيد الذي سيحل بعد يومين فقط.

أطاعوا والدتهم بعد إلحاحها الشديد وعادوا الى غرفهم، لتبديل الملابس والنوم، ولكن ايذوق الاطفال طعم النوم في هذه الليالي؟.. طبعا قضوا الجزء الأكبر من الليل في الحلم بيوم العيد.. كيف يبدون في ملابسهم الجديدة.. وكم من المئات العيدية سيحصلون.. والى اين سيأخذهم والدهم صباح اول يوم الى منزل جدتهم في المساء الى العيود ثاني يوم الى مدينة صحار لمشاهدة احتفالاتها الخاصة وما يصاحبها من انواع الزينة المقامة هناك لتكريم المقام السامي لسكانها بمشاركتهم في أداء صلاة العيد، والمشاركة